

4 - اعتاب الكتاب

روى المقرئ في أزهار الرياض (1) في أخبار عياض قال :
« ورجع ابن الأبار بأهله (من بلنسية) إلى تونس ، غبطة
بإقبال السلطان عليه . فنزل منها بخير مكان ، ورشحه لكتب
علامته في صدور رسائله ومكتوباته ، فكتبها مدة .
ثم إن السلطان - أبا زكريا - أراد صرفها لأبي العباس الفسائي
لما كان يحسن كتابتها بالخط المشرقي ، وكان آثر عنده من
الخط المغربي ، فسخط ابن الأبار أنفة من أشار غيره عليه ،
وافات على السلطان في وضعها في كتاب أمر بإنشائه - لقصور
التوسيل يومئذ في الحضرة عليه - وأن يبقى مكان العلامة منه
لواضعها . فجاهر بالرد ، ووضعها استبداداً وأنفة . وعوتب على

(1) صفحة 209 وما بعدها من الجزء الثالث. والواقع أن المقرئ
ينص على أنه نقل هذا الخبر عن ابن خلدون من كتابه «ديوان العبر»
وكتاب المبتدأ والخبر ...»

ذلك ، فاستشاط غضبا ، ورمى بالقلم ، وانشد متمثلا :
اطلب العز في لظى وذو الذل ولو كان في جنان الخلود
فنمي ذلك الى السلطان . فامر بانزوه بيته .

ثم استعتب السلطان بتأليف رفعه اليه ، عد فيه من عوتب
وأعتب . وسماه « اعتاب الكتاب » . واستشفع بابنه المستنصر
بالله ، فغفر السلطان له ، وأقال عشرته ، وأعادته الى الكتابة .
هكذا نجد السبب في تأليف ابن الابار كتابه « اعتاب
الكتاب » واضحا مسطورا فيما الف عنه من ترجمة . والحقيقة هي
ان ابن الابار لا يؤلف كتابا لمجرد الرغبة في التأليف ، ولكن
لان ثمة حافزا يدفع اليه ، وغرضا واضحا يرمى الى تحقيقه .
واى غرض اسمى من أن يرضى عنه السلطان ، ولى نعمته ومؤويه
في غربته ؟ واى غرض اسمى من ان يمد له في اسباب العيش
ناعما ، هادى البال ، في حضرة سيد البلاد ، وقد ألف ابن
الابار هذا النوع من الحياة ، وخدمة الملوك ؟ وهو قد احيط
باعداء ومنافسين افسدوا علاقته بمولاه .

فلا غرابة اذا ان نجد المؤلف يفتح كتابه بالمقدمة التى

تذم عن غرضه . فهو يقول في أولها :

« اما بعد حمد الله الذي يعفو عن السيئات ، والصلاة

على محمد رسوله الخاص بسيادة كل ماض وآت ، الحاض على
اغتفار الهنات وإقالة الثمرات لذوى الهيئات ، فهذه نبذة من
اعتاب الكتاب ، وتشفيغ الآداب ، تشهر كمالهم فى
الاضطلاع والاكتماء ، وتشهد بما لهم عند الامراء والخلفاء من
كرم الاختصاص واطيف الاحتماء . وكيف لا يكونون كذلك
وهم مقاول الدول والسنة الممالك . مفردهم فى الافصاح يعدل
جمع الكفاح ، وقصبتهم الضعيف يقاوى صم الرماح ، ويقاوم
ذلق الصفاح . رب كتيبة فضها كتاب ، وخطب صدءه خطاب
فانجاب الخ » .

ثم يستمر ابن البار فيذكر فضل مهنة الكتابة ، وان اربعة
من الخلفاء زاولوا هذه المهنة هم : عثمان بن عفان ، وعالي بن ابي
طالب ، ومعاوية بن ابي سفيان ، وعبد الملك بن مروان .
ويتقدم فيدخل فى صميم المشكلة فيذكر : ان من الكتاب من اخطأ
واستشفم فشَفِّم ، ومنهم من سُمى به واستعتب فأعتب . ويذكر

ان النبي صلى الله عليه وسلم عفا عن كاتبه ابن ابي سرح لما...
و يدخل في صراحة الى حاله هو و يخاطب الامير ابا زكرياء
بعد ذكره حادثة عفا فيها ابو جعفر المنصور وقبل الشفاعة - بقوله:
« ومولانا - ايد الله امره - اشجع طباعا ، وافصح في
الفضائل باعاً. ما زال يُشَرِّفُ احتراماً واصطناعاً، ويسرف احساناً
يوسع احساباً واقناعاً . وحق لمن عول على عدله المأمون ،
وتوسل بفضله المضمون ، ثم بنجته المبارك الميمون ، ان يجتلي
وجه القبول المأمول سافراً ، ويعظم ثمن مقيم ما انزعج
مسافراً فانما دعاء للتوب قابلاً ، وللذنب غافراً . وسعى للعود
بالخلاص الدائب ، من ظفر الحادث وناب النائب ، ظافراً . لازالت
أهاضيبي نواله دائمة السفوح والهتون ، واحاديث كماله صحيحة
الاسانيد والمتون ودام ولي عهده ، وخلاصة مجده ،
المهنأ بمآلى الامور ، والمهياً لافتتاح المعمور وهذه ونجده .
نظام الدين والدنيا ، الامين ، الاسعد ، الاعلى ، الاطهر الارضى
ابو يحيى ، يقتفى مذاهبه ، ويصطفى مناقبه ، حتى يفرع

النجم جلالاً جلياً ، ويرفع الم... (1) مكاناً علياً . وهذا ابتداء المقصود وانجاز الموعود .

وتلى هذه المقدمة تراجم الكتاب ومن كتبوا لهم ، ونوادير وحكايات عن كل كاتب ، وذكر لزاية صدرت من الكتابات وعفو من المكتوب له . ويذكر ابن الأبار من هؤلاء الكتاب أربعة وسبعين لكل واحد منهم حادثة طريفة وملحة . وها هم أولاء :

- 1 - مروان بن الحكم ، كتب لعثمان بن عفان ، رضى الله عنه .
- 2 - زياد بن أبي سفيان ، كتب للمغيرة بن شعبة .

- 3 - يحيى بن يعمر ، كتب للمهلب بن أبي صفرة بخراسان .
- 4 - يزيد بن أبي مسام ، تقلد الحجاج ديوان الرسائل .
- 5 - كاتب آخر الحجاج لا يعرف اسمه وما وقع له مع إحدى الجوارى
- 6 - الأبرش الكلبي ، كتب لهشام بن عبد الملك .

- 7 - سالم مولى هشام بن عبد الملك ، كان يتقلد له ديوان الرسائل .
- 8 - إبراهيم بن أبي عتبة ، حضره هشام وتقلد الخاتم لمروان .
- 9 - خالد بن برمك ، صار لأبي العباس السفاح كاتباً ثم وزيراً .

(1) بقية الكلمة غير واضحة في مصور المخطوط .

- 10 - كاتب الحسن بن زيد (لم يذكر اسمه) .
- 11 - أمية بن يزيد كاتب يوسف بن عبد الرحمن الفهرى .
- 12 - ابو عبد الله مولى الاشعرين ، كتب للمهدى قبل الخلافة فاستوزره .
- 13 - كاتب الهادى (لم يذكر اسمه) .
- 14 - يوسف بن الحجاج الصيقلى الكوفى ، اختص بالهادى الى ان توفى .
- 15 - أبان بن عبد الحميد اللاحقى ، كتب الفضل بن يحيى .
- 16 - عبد الله بن سوار بن ميمون ، كان يكتب ليحيى بن خالد
- 17 - حجر بن سليمان كتب ليحيى بن خالد .
- 18 - سهل بن ابراهيم ، كتب ليحيى بن خالد .
- 19 - كثوم بن عمرو العتابى سعى به الرشيد .
- 20 - الفضل بن الربيع ، كتب الرشيد .
- 21 - اسماعيل بن صبيح ، كتب الرشيد وخص به .
- 22 - داود الفيروانى ، كتب لمحمد بن مقاتل العكلى .
- 23 - الحسن بن سهل ، كتب للمأمون .

- 24 - احمد بن ابى خالد، كتب للحسن بن سهل ثم وزير للمأمون .
- 25 - احمد بن يوسف ، وزير للمأمون بعد احمد بن ابى خالد .
- 26 - عمرو بن مسعدة ، كان اعلى الكتاب منزلة عند المأمون .
- 27 - علي بن الهيثم ، كتب للمأمون .
- 28 - صالح بن علي ، كان من وجوه الكتاب عند المأمون .
- 29 - علي بن عيسى القمي ، ضمن للمأمون اعمال الضياع .
- 30 - عيسى بن عبد الرحمن كاتب طاهر بن الحسين .
- 31 - ميمون بن ابراهيم كاتب اسحاق بن ابراهيم المصعبى .
- 32 - ابو بكر بن سليمان الزهرى ، اراده للكتابة زيادة الله بن ابراهيم ابن الاغلب امير افريقية ، فاستعفى فلم يعفه ، فاشترط ثلاثة شروط الخ
- 33 - الفضل بن مروان ، كان فى ايام الرشيد على ديوان الخراج .
- 34 - محمد بن عبد الملك الزيات ، كتب للمعتصم ووزير له ، ولائذه الوثائق .
- 35 - سليمان بن وهب ، كان كاتب المأمون .

36 - ابراهيم بن رباح، كان على ديوان الضياع فمزاه الوثائق .

37 - ابراهيم بن العباس الصولى، ولى الاهواز فى ايام الوثائق

38 - محمد بن الفضل الجرجانى ، كتب للفضل بن مروان ،

ثم وزر المتوكل .

39 - عمرو بن بحر الجاحظ كتب لعبد الملك النريات .

40 - احمد بن محمد بن المدبر ، كان لمحمد بن عبد الملك النريات

على الجيش .

41 - ابراهيم اخوه ، كانت له حظوة عند المتوكل .

42 - ابو الجهم الكاتب ، كان من صنائع ابن النريات .

43 - عبد الله بن محمد بن يزداد ، كتب للمأمون ووزر له .

44 - احمد بن محمد بن ثوابة ، خاف من المأمون لما اتهم به .

45 - الحسن بن رجاء ، نشأ فى خلافة المأمون ، وكان من

جملة الكتاب .

46 - عيسى بن العباسى ، كتب لابی الصقر فى وزارته للمعتمد .

47 - عبد الله بن محمد النرجالى ، كتب لعبد الله بن محمد بن

عبد الرحمن بن الحكيم بن مسلم ابن عبد الرحمن بن معاوية

بن هشام بن عبد الملك بن مروان.

48 - عبد الله بن سليمان بن وهب ، كتب للمعتضد ابي العباس

احمد

49 -- علي بن محمد بن العياض ، كتب للمعتضد .

50 -- علي بن محمد بن الفرات ، كتب للمعتضد .

51 -- القاسم بن عبد الله ، كتب للمعتضد في حياة أبيه .

52 -- علي بن عيسى الجراح ، كتب للقاسم بن عبيد الله .

53 -- ابو جعفر البغدادي ، لحق بالمهدي عبيد الله الشيعي في

تغلبه على افريقية .

54 -- عيسى بن فطيس ، كتب لعبد الرحمن بن محمد الناصر

امير الاندلس .

55 -- احمد بن سعيد بن حزم ، استوزره المنصور محمد بن عبد

الله بن ابي عامر .

56 -- عبد الملك بن سعيد الجزري ، كتب للمنصور ابي عامر

محمد بن عبد الله بن ابي عامر .

57 -- عيسى بن سعيد القعناع ، اختلف الى الديوان في دولة الحكم .

58 .. خلف بن حسين بن حيان ، كان في كتاب المنصور بن بى عامر

59 .. احمد بن على الحر حرانى ابو القاسم نكبه الحاكم صاحب مصر .

60 .. محمد بن سعيد التاكرانى ابو عامر ، كان احد

من كتب لعبد العزيز بن عبد الرحمن على بلنسية .

61 .. ابو عامر احمد بن عبد الملك بن شهيد ، سعى به الى يحيى بن

علي بن حمود .

62 .. ابو القاسم بن المغربي ، كتب الحاكم العبيدى .

63 .. ابو الوليد بن زيدون ، كتب لعاقمة بن عبد الله بن

احمد احمد بن قراطبة .

64 .. محمود بن علي بن ابي الرجال ، نكبه المعز بن باديس الصنهاجى

65 .. ابو المطرف عبد الرحمن بن احمد بن المثنى ، كتب لعبد

العزيز بن عبد الرحمن بن ابي عامر صاحب بلنسية .

66 .. عبد الملك بن غصن الحجازى ، نكبه المأمون بن ذى النون

مع جماعة .

67 .. ابو محمد بن عبد البر ، كتب للمعتضد بن محمد باشبيلية .

68 .. ابو محمد بن سليمان بن القصرى ، نشأ فى دولة المعتضد .

69 - ابو بكر عيسى بن الوكيل الياورى ، كان كاتباً بفرنطة
ايام الامتوينين .

70 - ابو جعفر احمد بن عطية كاتب عبد المومن بن علي ووزيره

71 - صفى الدين ، كاتب صلاح الدين يوسف بن ايوب .

72 - ابو عبد الله محمد بن عياش ، شق عصا الطاعة على مخدمه
الملقب برشيد الموحدين .

73 - ابو عبد الله بن نخيل ، كتب لملوك الحفصيين .

74 - ابو الربيع بن سالم (سليمان الكلاعى) كتب اولى بالنسية
والكتاب ذخيرة أدبية قيمة ، يحتوى من الطرف
والحكايات الادبية الممتع الجميل . وقد كان له اثره فى نفس
السلطان ابى زكريا فعفا عن مؤلفه ، وأعاد لمكانته .

أما تاريخ تاليفه فمن الممكن تحديده من المناسبة ، فقد
كانت وفاة الامير أبى زكريا عبد الواحد بن محمد بن ابى حفص
سنة 647 (1249م) ، فلا بد ان يكون ابن البار قد ألف كتابه
قبل هذا التاريخ . وكانت هجرة ابن البار الى تونس فى
سنة 636 هـ فلا بد أن يكون الكتاب قد ألف بعد هذا التاريخ .

وما لم نعرف بالدقة سنة غضب الامير أبى زكريا على ابن
الابر فاننا لانستطيع ان نعرف بالدقة والتحديد سنة تأليف
الكتاب. وكل ما يمكن ذكره هو أن الكتاب الف بين سنتي
637 و 647 هـ .

والكتاب .. كغيره من مؤلفات ابن الابر - ينم عن سعة
اطلاع مؤلفه ، وصلته الادبية القوية بأمهات الكتب العربية
وسهولة الافادة منها ، وعلى قوة ذاكرته وحضورها . فتراه
يقتبس من مراجع شتى ويشير الى حوادث غير مكتوبة وقعت
في الاندلس والمغرب فى يسر وثقة . وأسلوب الكتاب مع هذا
ليس أسلوب ابن الابر الانشائي ، لان الكتاب تعنيف وجمع
وليس انشاء وابتكارا . ولذلك لانستطيع الحكم على أسلوب
ابن الابر بما كتب فيه .

والكتاب ما زال مخطوطاً ، (1) ولكن يظهر أن ثمة نسخا
مختلفة من هذا المخطوط ، ففي مكتبة الاسكوريال (2) نسخة ،

(1) تبين لى بعد كتابة هذا أن الاستاذ السيد صقر طبع جزءا منه
بمصر سنة 1947 م نقلا عن مخطوط المكتبة التيمورية بالقاهرة .

(2) تفضل السيد الكريم عبد الله كنون فاعارنى صورة هذه النسخة . =

يقول عنها الاستاذ ليفى بروفنصال فى ' فهرست (1) المخطوطات العربية بالاسكوريال: ' ان المخطوط معجم ~~كتاب~~ أمراء الاندلس، يضم نماذج لانشائهم الشعرى . وواضح ما فى هذا الوصف من مخالفة لحقيقة الكتاب. وهو يقول كذلك ان اوراق هذا المخطوط عددها ثمان وسبعون ورقة . فى كل ورقة واحد وعشرون سطرا ، ومساحة الصفحة الواحدة 21 سم × 14 سم . وفى مكتبة الرباط نسخة اخرى من المخطوط ، يقول عنها الاستاذ ليفى بروفنصال ايضا فى ' فهرست (2) المخطوطات العربية بالرباط ' انه يحتوى على تراجم لكتاب أمراء المسلمين وأعيانهم، ويوجد جزء من هذا المخطوط فى مكتبة الاسكوريال تحت رقم 1726 . . . وقد كتب فى 13 من ذى الحجة سنة 1264 الموافق 23 من نوفمبر سنة 1848 . وعدد أوراقه 60 ورقة . ثم يعطى الاستاذ اسماء الكتاب الذين تعرض لهم المؤلف .

= وهى التى اعتمدت عليها فيما صُتبت هنا عن المؤلف .

(2) صفحة 243 من الجزء الثالث من Catalogue de Manuscrits Arabes

de L' Escorial . والمخطوط تحت رقم 1731 . Vol. III .

(2) Les Manuscrits Arabes de Rabat , Paris 1921 , No . 409 . P. 149 .

ومن مقارنة هذه الاسماء .. كما وردت في مخطوط الرباط -
بالاسماء التى فى مخطوط الاسكوريال، نجد اسمين فقط فى
المخطوط الثانى لم يردا فى الاول هما « حجر بن سليمان »
و« عبد الملك بن سعيد الجزرى » . ولكن هذه الزيادة - زيادة
ترجمتين - لا تبرر زيادة ثمانى عشرة صفحة فى مخطوط
الاسكوريال . وخط نسخة الاسكوريال مغربى واضح منتظم
جميل ، الا فى بعض المواطن بأطراف الصفحات .

وفى المكتبة التيمورية بالقاهرة نسخة ثالثة من هذا المخطوط
صفحاتها (1) مائة . وهى بهذا تخالف النسختين المذكورتين .
والكتاب جدير بالنشر لقيمه العلمية والادبية ، ولسهولة
نشره من نسخ المخطوط التى فى خزائن الكتب ، وهو أسهل
نشرا من كتاب «الحلة السراء» .

وقد استخرجت من مكتبة الاسكوريال صورة اصفحتين
من صفحات المخطوط الذى بها ، لنتبين من هذا المصور الحال
التى عليها المخطوط ، ومقدار صلاحيته للنشر .

(1) هكذا يقول جرجى زيدان فى صفحة 78 من الجزء الثالث
من كتابه « تاريخ آداب اللغة العربية » .